كلمة أصدقاء الفقيد

ألقاها الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

أمين مجمع اللغة العربية

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها الحفل الكريم، السلام عليكم ورحمة الله.

تعرَّفتُ بفقيدنا الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، بعد أن شرفني هذا المجمع بمنحي عضويته واستقبلني عام ٢٠٠٢.

كنت قبل ذلك أسمع عن أنشطته العلمية الكثيرة، بحكم عملي في كلية العلوم، وعمله في كلية الصيدلة.

أما هنا في المجمع فقد عملت معه ومع زملاء آخرين في لجنة المصطلحات الفيزيائية والكيميائية، التي يرأسها الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور واثق شهيد. وتقاسمتُ العمل معه بتكليف من رئاسة المجمع في مراجعة مشروع معجم تخصصي أعده مكتب تنسيق التعريب في الرباط، عن مصطلحات أدوات المنزل. فقام بالعمل على الوجه المطلوب، وكنت سعيدًا بهذه المشاركة.

واستمر لقاؤنا في بعض لجان المجمع ومجلسه حتى أقعده المرض عن المشاركة في أعمالنا.

وجدته إنسانًا رقيقًا هادئًا، دمث الأخلاق متواضعًا، قليل الكلام، لم أسمعه ينتقد أحدًا، ولم أسمع عنه ما يسيء إليه. وسأعرض على حضراتكم نبذة من سيرته العلمية ومنجزاته في ميدان التعليم الجامعي، والتأليف وتحقيق المخطوطات. وكذلك نبذة من نشاطه المجمعي.

- نبذة من سيرته العلمية

- حصل الدكتور البابا على الإجازة في علوم الصيدلة والكيمياء سنة ١٩٤٥ من المعهد الطبي العربي بدمشق، الذي صار فيما بعد كليةً للطب.

- أُوفد إلى جامعة بروكسل في بلجيكا للحصول على شهادة الدكتوراه في علم العقاقير والنباتات الطبية، وحصل عام ١٩٤٨ على هذه الشهادة بدرجة جيد جدًا.

- وفي عام ١٩٤٩ عُين مدرسًا في كلية الطب – قسم الصيدلة، وكُلِّف تدريسَ مقرر علم العقاقير الذي أنشىء آنئذ في ذلك القسم، ثم تدرج في الهيئة التدريسية حتى صار أستاذًا ذا كرسي في عام ١٩٦٢. وفي هذا العام استقل قسم الصيدلة عن كلية الطب فأصبح كلية الصيدلة، وعُين الدكتور البابا وكيلًا لهذه الكلية الجديدة ورئيسًا لقسم العقاقير فيها.

- وفي عام ١٩٧٠ عُين عميدًا لكلية الصيدلة.

- لقد ترجم د. البابا عدة مؤلفات تبحث في علمي العقاقير والنباتات الطبية. وكان لابد له من البحث عن المصطلحات العلمية العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية. ولهذا لجأ إلى الكتب العربية القديمة التي تبحث في علم النبات وفي علم الأدوية والأقرباذينات (هذه الكلمة سُريانية من أصل يوناني وتعني وصف تركيب الأدوية) وهكذا عَرف كتابَ النبات لأبي حنيفة الدِّيْنَوريّ، وكتب النبات لابن البصّال وابن العوّام وابن الرومية والشريف الإدريسي، إضافةً إلى مؤلفات ابن ميمون والغافقي وابن البيطار وداوود الأنطاكي وغيرهم ممن أَلَّفوا في الأدوية المفردة. واعتمد أيضًا على معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي، وعلى معجمي الدكتورين أحمد عيسى ومحمد شرف.

- **مؤلفاته والمخطوطات التي حققها**

وبعد جهود دامت عدة سنوات استطاع الدكتور البابا أن يؤلف أول كتاب ظهر باللغة العربية في **علم العقاقير وتشخيصها المجهري والكيميائي**، ويقع قسمه النظري في جزأين، أما الجزء الثالث فهر القسم العملي.

وقد صدر هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة في عامي ١٩٦٤و١٩٦٥، ثم أعيد طبعه في عامي ١٩٧٠و١٩٧١.

كما ألَّف الدكتور البابا كتابًا عنوانه: **تاريخ الصيدلة وتشريعها وآدابها**، وطبع سنة ١٩٧٥ ثم أعيد طبعه بعد تنقيحه في عامي ١٩٧٨و١٩٨٦.

ولقد درَّس الدكتور البابا في معهد التراث العلمي العربي الملحق بجامعة حلب منذ عام ١٩٨١، إذ كان أستاذ تاريخ الطب والصيدلة وعلم النبات.

وفي عام ١٩٨٠-١٩٨١ تفرغ للبحث العلمي وقصد مدينة باريس، واطلع في مكتبتها الوطنية على جميع ما فيها من مخطوطات طبية عربية، وقام بفهرستها وتصنيفها وفقًا لأسماء المؤلفين. واطلع أيضا على فهارس المخطوطات الطبية العربية المحفوظة في أشهر المكتبات العالمية في الشرق والغرب، فأضحى في مقدوره أن يعرف من الفهارس التي سجلها، أماكن وجود النسخ النادرة من التراث الطبي العربي.

وحين عاد إلى سورية حمل معه عددًا من صور بعض المخطوطات التي بدأ دراستها وتحقيقها في باريس. وكان أول كتاب أتم دراسته وتحقيقه «**أقرباذين القلانسي**» الذي يعدُّ أكملَ دستورٍ للأدوية في الطب العربي. ويعود الفضل إلى إدارة معهد التراث العلمي العربي ورئاسة جامعة حلب في طبع هذا الكتاب سنة ١٩٨٣.

وبعد ذلك بعام قام معهد التراث العلمي العربي، بالتعاون مع معهد المخطوطات في القاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بنشر مخطوط آخر، أنجز منه

الدكتور البابا ما يتعلق باختصاصه من دراسةٍ وتحقيق. وصدر الكتاب المطبوع عام ١٩٨٥ بعنوان «**من مؤلفات ابن سينا الطبية**». وهو يضم ثلاث مخطوطات من تأليف ابن سينا:

الأولى: دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية.

الثانية: أرجوزتان في الطب.

الثالثة: كتاب الأدوية القلبية.

- **نشاطه العلمي**

أما نشاط الدكتور البابا العلمي فقد كان واسعًا، إذ نشرت له **المجلات العلمية** خمسة عشر بحثًا ومحاضرة. وشارك بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٦ في /٢٩/ تسعة وعشرين مؤتمرًا وندوةً علميةً محليةً وإقليميةً ودوليةً.

- **تكريمه والجوائز التي حصل عليها**

ونتيجةً لنشاطه العلمي الجمّ حاز الميدالية الذهبية من مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب الرابع في القاهرة عام ١٩٧٤.

كما نال جائزة الكويت للتقدم العلمي في مجال الكيمياء والصيدلة عند العرب عام ١٩٨٦.

- **في مجمع اللغة العربية بدمشق**

وفي سنة ١٩٨٩ استُقبل د. البابا عضوًا جديدًا في مجمعنا هذا، وقدّمه ورحّب به في حفل الاستقبال عضو المجمع الراحل الدكتور عبد الحليم سويدان.

- **نشاطه المجمعي**

- حقق هذا المجمعي الجديد مخطوطة نادرة في **علم السموم لابن وحشية**، لكنها لم تطبع بعد. ومارس نشاطًا متنوعًا في رحاب المجمع:

- ففي حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوَّا عضوًا جديدًا في المجمع ألقى كلمة قدّمه فيها ورحّب به.

- وفي حفل استقبال الأستاذ شحادة الخوري عضوًا جديدًا في المجمع، ألقى كذلك كلمة قدمه فيها ورحّب به.

- وألقى محاضرة في قاعة المحاضرات عنوانها: «الجواهر والأحجار الكريمة في كتب التراث العربي» وذلك في أيار ١٩٩٥.

- كما ألقى محاضرة في قاعة محمد كرد علي في المدرسة العادلية عنوانها: «تأثير المملكتين الزنكية والأيوبية في تقدم العلوم» وذلك في آذار ١٩٩٦. ونشرت هاتان المحاضرتان في كُتيِّبين خُصّصا لمحاضرات المجمع. ونشر في مجلة المجمع بحثين:

الأول: «السوابق واللواحق وأهميتها في فهم المصطلح العلمي ووضْعِه»، وذلك في المجلد / ٧٥/ سنة ٢٠٠٠.

الثاني: «أسرة الكواكبي وأشهر علمائها»، وذلك في المجلد / ٨١/ سنة ٢٠٠٦.

أيها السيدات والسادة

هذه نظرة عجلى إلى المنجزات العلمية التي قام بها فقيدنا الدكتور البابا في أثناء عمله الجامعي الذي دام نحوًا من أربعين سنة، وفي خلال عمله المجمعي الذي دام قرابة / ٢٢/ اثنتين وعشرين سنة.

أخيرًا، حدثني الزميل الكريم الأستاذ المجمعي شحادة الخوري – الذي منعه مانع من أن يتحدث إليكم بنفسه – أنَّ صداقته لفقيدنا امتدت سنوات طويلة، وقويت عراها في رحاب مجمعنا: فكانا يلتقيان يوميا للعمل على خدمة العربية، بإغنائها بألفاظ وعبارات يستحدثانها وفق منهج محدد، للوفاء باحتياجات هذا العصر.

كان الفقيد رجلًا فاضلًا يتحلى بمزايا الأفاضل الذين يقفون حياتهم لتحقيق هدف نبيل. وكان إنسانًا طيب العِشرة. هادىء الطبع، صادق القول، مخلصًا في عمله، وفيا لأصدقائه. يحدّثك بروية فتسمعُ منه ما يعبّر عن صفاء النفس والفكر. وكان وافر الأدب

يُحسِن الإصغاء إلى محدّثه، ويعبّر عن رأيه بكثير من التهذيب والكياسة. وفضلًا على ما ذكِر. كان ربَّ أسرةٍ مثاليًا.

وكان لتنشئته لأولاده أثر طيب جدًا، تجلى في حسن خلق ابنه الدكتور مازن، وابنته الدكتورة خلود وإتقانهما العمل، وسيرتهما الطيبة، فلهما ولأسرتيهما وبقية أهل الفقيد وأصدقائه أصدق العزاء.

تغمَّد الله فقيدنا الدكتور زهير البابا برحمته، وجزاه خير الجزاء عما قدَّم لأُمَّته، والسلام عليكم ورحمة الله.